بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

لا نعرف عن بدايات التأليف فى تاريخ مكة ـ وخاصة المؤلفات التى أفاد منها اللاحقون ـ سوى مؤلف فى تاريخ مكة للحسن بن يسار البصرى المتوفى سنة ١١٠هـ، الذى كتب رسالة عن «فضائل مكة المشرفة» كانت فيما بعد أحد المصادر الرئيسية للفاكهى المتوفى سنة ٢٧٢هـ، فى كتابه «أخبار مكة»(١). والفاسى المتوفى سنة ٨٣٢هـ، فى كتابه «شفاء الغرام»(٢). وابن ظهيرة المتوفى سنة ٩٨٦هـ، فى كتابه «الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف»(٣).

ومؤلف آخر فى تاريخ مكة لعثمان بن ساج المتوفى سنة ١٨٠هـ، ويرجح أن كتابه فى تاريخ مكة، كان أحد مصادر الأزرقى المتوفى سنة ٢٢٢هـ، فى كتابه «أخبار مكة»(٤).

ثم جاء أبو الوليد الأزرقى فكتب فى «أخبار مكة» وقد استقى كثيرًا من معلوماته الواردة فى كتابه عن عبد الله بن عباس وتلاميذه، حيث كانت لديهم معلومات وفيرة عن مكة(٥).

ويبدو أن الأزرقى كان مولعًا بمعرفة الأخبار التاريخية وروايتها، كما أن

(١) الفاكهى: أخبار مكة ج٢ ص٢٨٨ فما بعدها.

(٢) الفاسى: شفاء الغرام ج١ ص١٣٧، ٢٥٦، ٢٨٥، ٢٩٢، ٣٢١. وج٢ ص١٦، ١٧، ١٨.

(٣) ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص٤١، ١٠١، ١٢٠، ١٤٩.

(٤) الأزرقى: أخبار مكة ج١ ص٤٣، ٤٥، ٤٦، ٥١، ٦٤، ١٢٠، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٢، ١٣٤.

(٥) الأزرقى: المصدر السابق ج١ ص٣٢، ١١٥، ١٢٦، ١٣٠، ١٣٤، ١٤٩، ١٦١، ١٦٤.. إلخ.

اسمه يظهر كمصدر للمعلومات عن تاريخ مكة القديم[١]، وكذلك فيما يتعلق بتاريخها الإسلامى وما صاحبه من أحداث[٢].

وقد استغرق ثلاثة أرباع كتابه ذكر قصص كانت قد نَمت فى الجاهلية حول حرم مكة ووصف الشعائر ذات الصلة بمكة. أما الربع الباقى فيبحث فى الأماكن المقدسة الأخرى من مكة، بالإضافة إلى الحديث عن الرسول ومعاصريه من المكيين، وعن خطط مكة وأطرافها[٣].

وقد حظيت مرويات الأزرقى باهتمامات المؤرخين اللاحقين حتى عهد النَّهْروَالى والعهود اللاحقة[٤].

كما كتب الفاكهى مؤرخ مكة المتوفى سنة ٢٧٢هـ، كتابًا فى «تاريخ مكة» أشاد به الفاسى، حيث ذكر أن «كتابه فى أخبار مكة كتاب حسن جدًا، لكثرة ما فيه من الفوائد النفيسة، وفيه غنية عن كتاب الأزرقى، وكتاب الأزرقى لا يغنى عنه؛ لأنه ذكر فيه أشياء كثيرة حسنة مفيدة جدًا لم يذكرها الأزرقى، وأفاد فى المعنى الذى ذكره الأزرقى أشياء كثيرة لم يفدها الأزرقى»[٥].

ولا شك أن الفاكهى دون فى كتابه المعلومات التاريخية التى تجمعت حتى ذلك الوقت لدى أهل طبقته عن مكة. فكتب عن تاريخها القديم قبل الإسلام على ضوء القصص والروايات التى تناقلتها الأجيال جيلا بعد جيل.

وقد ظل الفاكهى لفترات طويلة تجاوزت عصره - من أبرز وجوه مكة الفكرية لدى مؤرخى مكة.

---

(١) الأزرقى: نفس المصدر ج١ ص٣١ - ٦٦.

(٢) الأزرقى: نفس المصدر ج١ ص٢٨٢، ٢٨٣.

(٣) روزنثال: علم التاريخ عند المسلمين ص٢٢٤.

(٤) انظر على سبيل المثال: الفاسى: شفاء الغرام ج١ ص١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ٢٢، ٢٨... إلخ. وج٢ ص٩، ١٣، ١٤، ٢٨، ٢٩، ٣١... إلخ. ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص٤٦، ٩٤. الطبرى: الأرج المسكى فى التاريخ المكى ص٤٧.

(٥) الفاسى: العقد الفريد ج١ ص٤١١.

وقد استفاد مؤرخو مكة اللاحقون إلى حدّ بعيد من كتاب الفاكهى، كما أفادت منه المؤلفات اللاحقة حتى عهد النَّهْرَوَالى والعهود اللاحقة[1].

وبعد إسهامات كل من الأزرقى والفاكهى انقطع التأريخ تقريبًا للحجاز منذ أواخر القرن الثالث الهجرى إلا ما يتصدق به عليه المؤرخون الطارئون تكريمًا للمدن المقدسة، وتعريفًا بها، وإشادة بفضائلها[2].

وقد أكد على ذلك الفاسى بعد أن ذكر فضل السبق فى تدوين تاريخ مكة لكل من الأزرقى والفاكهى، فقال: «وكانا ـ الأزرقى والفاكهى ـ فى المائة الثالثة. ومن عصرهما إلى تأريخه ـ شفاء الغرام ـ خمسمائة سنة ونحو أربعين سنة وأزيد، ولم يصنف بعدهما فى المعنى الذى صنفنا فيه أحد... وإنى لأعجب من إهمال فضلاء مكة بعد الأزرقى للتأليف على منوال تاريخه، ومِنْ تَرْكِهِم تأليفا لتاريخ مكة يحتوى على معرفة أعيانها، من أهلها وغيرهم من ولاتها وقضاتها وخطبائها وعلمائها، كما صنع فضلاء غيرها من البلاد»[3].

وكيفما كان الأمر فقد افتتح مدرسة التاريخ فى مكة تقى الدين الفاسى أعظم أساتذتها بآثاره الخالدة، والتى برز فيها: نجم الدين بن فهد المتوفى سنة ٨٨٥هـ، وعز الدين بن فهد المتوفى سنة ٩٢٢هـ، وجار الله بن فهد المتوفى سنة ٩٥٤هـ، وابن ظهيرة المتوفى سنة ٩٨٦هـ، وغيرهم.

واقتفى النَّهْرَوَالىّ المتوفى سنة ٩٨٨هـ تقاليد هذه المدرسة الزاهرة فى التوفر على كتابة تاريخ مكة، وتميز كغيره من مؤرخى ذلك العصر، فى أنه عاش عصرين، وشهد أحداث جيلين: أواخر العصر التركى المملوكى،

(١) انظر على سبيل المثال: الفاسى: شفاء الغرام ج١ ص١٤، ٢٢، ٢٧، ٣٠، ٣٧، ٣٨... إلخ. ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص٥٨، ٦٩، ٨١، ٨٢. الطبرى: الأرج المسكى فى التاريخ المكى ص٤٧، ٥٣، ٦٠.

(٢) شاكر مصطفى: التاريخ العربى والمؤرخون ج١ ص٢٧٣.

(٣) الفاسى: شفاء الغرام ج١ ص١٥.

وأوائل العصر التركى العثمانى، مما جعل لكتابته أهمية خاصة فى تأريخه لتلك الفترة الحاسمة، كما كان شاهد عيان لما يقع فيها من أحداث.

والدارس لكتابات مؤرخى الحجاز فى هذا العصر يلحظ أنهم شكلوا بكتاباتهم مدرسة تاريخية مستقلة عن غيرها من مدارس الشام ومصر. كما يلحظ أنهم أدركوا أهمية الأخبار المستقاة من المصادر الرئيسية ثم تتبعوا حوادث مكة وكتبوا عنها حسب مشاهداتهم وإحساساتهم وما يصلهم من معلومات.

ويعدّ هذا الصنيع من الملامح المميزة لمدرسة التاريخ فى مكة وقتئذ، حيث اتصفت كتابة التاريخ فى مكة منذ عصر الفاسى بجمع وتلخيص ما أنجزه المؤرخون السابقون، ثم كتابة ما تلا ذلك من الحوادث التاريخية.

فأرخ الفاسى لمكة على مدى العهود السابقة ثم وصل ذلك بحوادث عصره فى كتابيه: «شفاء الغرام» و«العقد الثمين».

ثم استكمل نجم الدين عمر بن فهد كتابات الفاسى فى كتابه «الدر الكمين بذيل العقد الثمين» و«إتحاف الورى بأخبار أم القرى».

وكتب عبد العزيز بن نجم الدين عمر بن فهد ذيلا لكتاب «إتحاف الورى» فى كتابه «بلوغ القرى بذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى».

ثم كتب جار الله بن فهد ذيلا لكتاب «بلوغ القرى» فى كتابه «نيل المنى بذيل بلوغ القرى بذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى».

ثم ظهرت مجموعة من مؤرخى مكة فى ذلك العصر اقتفت تقاليد مدرسة مكة وقتئذ، وهى التوفر على كتابة تاريخ مكة، إيمانًا بمكة التى ولدوا فيها ودفن فيها أجدادهم، مما جعل كثيرًا من كتاباتهم يتعلق بمكة وحدها، وهى الأمور التى جعلت من هؤلاء المؤرخين يشكلون بكتاباتهم مدرسة تاريخية مستقلة، وهى المدرسة التى افتتحها الفاسى سنة ٨٣٢هـ.

ولعل ما كتبه النَّهْرَوالى فى تاريخ مكة فى كتابه الذى نقدم له اليوم أصدق دليل على اقتفاء المؤرخين اللاحقين لتقاليد مدرسة التاريخ فى مكة وقتئذ.

وهو ممن اقتفى منهج جار الله بن فهد فى تناوله لملوك الجراكسة[١]، وكذا فى تناوله لملوك آل عثمان[٢]. ثم هو كذلك يقتفى تقاليد مدرسة مكة وقتئذ، التى ترى أن الشعر[٣]، وحتى السجع[٤] أحيانًا، هو من أسلوب كتابة التاريخ. وفوق ذلك فهو كمؤرخى مكة، يؤمن بمكة ولا يرى لمكة إلا أن تكون فى حماية الدولة العثمانية، على أساس أنها حامية الخلافة والمشرفة على شئون الإسلام، وخاصة ما يتصل بالحرمين الشريفين[٥].

ومما يحمد لمؤرخى مدرسة التاريخ فى مكة وقتئذ، هو حرصهم دائمًا على ذكر المصادر التى أخذوا عنها، وربما ليبعدوا عن أنفسهم هجوم المنتقدين من معاصريهم، ولتأثرهم بالعلوم الإسلامية من ناحية أخرى، ومن ثم اتسمت كتاباتهم بالأمانة العلمية، ويمكن أن نعزو هذه الأمانة إلى تأثرهم بعلم الحديث وسند الرواية تأثرًا صادقًا، مما جعلهم يتبعون فى كتابة التاريخ المنهج الإسلامى فى نسبة الفضل إلى ذويه، والتحرز من ادعاء ما ليس من عملهم.

ومن ثم احتفظت مدرسة التاريخ فى مكة بمقوماتها، وأسهم مؤرخوها بإضافتهم مواد جديدة تُكْمِل ما كتبه السابقون.

وهكذا تضافرت جهود السابقين واللاحقين فى هذه المدرسة فى التأريخ لبلدهم بعيدًا عن المهاترات التى كانت سائدة بين البعض من مؤرخى المدارس المعاصرة فى مصر والشام.

---

(١) النهروالى: الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ص١٨٥ فما بعدها.

(٢) النهروالى: المصدر السابق ص٢٣٨ فما بعدها.

(٣) النهروالى: نفس المصدر ص١٥٤، ١٥٥، ٢٤٩، ٢٦٢.

(٤) النهروالى: نفس المصدر ص٢٤٩، ٢٥٧، ٢٩١.

(٥) النهروالى: نفس المصدر ص٣٠٩، ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٣٩، ٣٠٥... إلخ.

والنَّهْروَالى مؤلف هذا الكتاب هو قطب الدين محمد بن أحمد بن محمد ابن قاضى خان محمود النَّهْروَالى[1]، ولد سنة ٩١٧هـ تعلم بمصر، ونصب مفتيًا بمكة. وتوفى سنة ٩٩٠ هـ.

وقد ظل النَّهْروَالى لفترات طويلة تجاوزت عصره ـ من أبرز وجوه مكة الفكرية لدى مؤرخى مكة حين يزمع مؤرخوها الحديث عن فضائل مكة وتاريخها.

وكتاب الإعلام الذى نقدم له اليوم، عنوانه كما جاء فى طرة بعض النسخ التى وصلت إلينا: «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام».

وكذلك سماه غير واحد ممن ترجم له أو نقل عنه. فقد ورد لدى الشوكانى فى البدر الطالع ج ٢ ص ٥٧ «الإعلام فى أخبار بيت الله الحرام».

ولدى الطبرى المتوفى سنة ١٠٧٠هـ وهو ينقل عنه: «وقد قال الشيخ قطب الدين الحنفى فى تاريخه الإعلام. . .»[2].

وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات؛ يشيع فى معظمها التصحيف والتحريف والخطأ، طبع بها من خلاصة الكلام بمصر سنة ١٣٠٥هـ، وطبع بمكة المكرمة سنة ١٣٧٠ هـ.

كما طبع بعناية وستنفلد غوتنجن سنة ١٢٧٤هـ.

وهذه الطبعات فى عداد الكتب النادرة النافدة من المكتبات. أما الطبعة المتداولة الآن فهى طبعة المكتبة التجارية بمكة المكرمة سنة ١٩٩٦م، بتحقيق هشام عبد العزيز عطا، وإشراف سعيد عبد الفتاح، وهى أردأ طبعة ظهرت

(١) نسبة إلى نَهْرَوالة ـ باللام بعد الألف ـ من أعمال كجرات بالهند. وقد تحرفت نسبته فى طبعة عطا وزميله إلى: «النهروانى» بالنون بعد الألف. وهو تحريف قبيح.

(٢) الطبرى: الأرج المسكى فى التاريخ المكى ص٣٩.

لهذا الكتاب لشيوع التصحيف والتحريف فيها وكثرة الأخطاء الفاحشة بها. وصفحات هذه الطبعة حوالى ٣٩٤ صفحة ومتوسط الأخطاء القبيحة فى كل صفحة حوالى خمسة أخطاء، ولذا لن نأتى على جميعها فى هوامش طبعتنا هذه وإنما نشير إلى بعض التحريفات الصارخة والأخطاء الفاحشة. ومنها على سبيل المثال ما ورد من خطأ فاحش فى صفحة واحدة وهى صفحة ٣٨ حيث ورد بها:

أحمد مجد الدين بن أبى القاسم محمد العقيلى العزيزى المكى.

والصواب «أحمد محبّ الدين بن أبى القاسم محمد العقيلى النُّوَيْرِى المكى».

وما ورد بها كذلك: أحمد بن محمد الدمشقى الشهير بالخفار.

والصواب: «الشهير بالحفار».

وكذلك: أبو الحسن على بن هبة سبط الحميرى.

والصواب: «سبط الجُمَّيْزِىّ»

وأيضًا: أبو على الحسين بن محمد الحبانى.

والصواب: «الجَيَّانِىّ».

وكذلك: الحافظ محمد بن أحمد النجيبى.

والصواب: «التُّجِيبِىّ».

وكذلك: الحافظ الحكم بن محمد الخذامى.

والصواب: «الجُذَامِىّ».

وغير ذلك كثير.

يضاف إلى ذلك أن بعض الشعر تحول إلى نثر كما يوجد سقط فى كثير من صفحات هذه الطبعة بلغ فى بعض الأحيان عدة صفحات.

هذا ويطول بنا المقام لو تتبعنا هذا العَوار الذى اتسمت به طبعة المكتبة التجارية بمكة.

ولعل من المناسب فى هذا المقام أن نذكر ما قاله الدكتور بشار عواد فى موضع مماثل حيث يقول: «وقد تولى تحقيقه من ليس له حظ فى التحقيق العلمى، فكانت طبعة رديئة سقيمة أساءت إساءة بالغة إلى الكتاب ومؤلفه، كما كانت مثلاً واضحًا بيِّنًا على امتهان التراث العربى الإسلامى، وفقدان الأمانة العلمية، وتوسيد الأمر إلى غير أهله، وكأن الديار الإسلامية قد خلت من مراجع حصيف أو متابع خرّيت يقف على كل هذه المهانة التى يمتهن فيها التراث الأصيل على مرأى ومسمع من أهله الغُيُر على سلامته من عبث الجاهلين، وتعالم المتطفلين»[1].

وحينما شرعت فى تحقيق هذا الكتاب رجعت إلى نسخة الأمبروزيانا برقم ١١٦ H وهى بقلم نسخ، كتبها إسماعيل بن تركى بن أحمد المنشليلى. فى ٢٤٨ ورقة. وقد اتخذت هذه النسخة أصلا فى التحقيق.

كما أنى تخيرت مما طبع نسخة جيدة وقريبة من الصحة، وهى التى حققها وستنفلد سنة ١٢٧٤هـ، ورمزت إليها بالحرف (ل).

وإليهما معًا بالأصلين.

وقد اهتديت فى عملى أيضًا بنسختين رجعت إليهما لمامًا ولم أشر إلى موطن الرجوع: إحداهما نسخة مكتبة أحمد الثالث برقم ٤٨٧٦. والأخرى نسخة دار الكتب المصرية برقم ٨٤٧ تاريخ.

وليس لنا من كلمة نختم بها هذه العُجالة سوى أن نقول: فليتق الله الناشرون، فلا يمكنوا من تحقيق الكتب إلا من كان أهلاً لذلك ممن جمع بين المعرفة والأمانة العلمية.

القاهرة فى ذى الحجة سنة ١٤٢٤هـ

فبراير سنة ٢٠٠٤ م

د. على عمر

(١) معرفة القراء الكبار للذهبى: المقدمة ص١٤، ١٥.

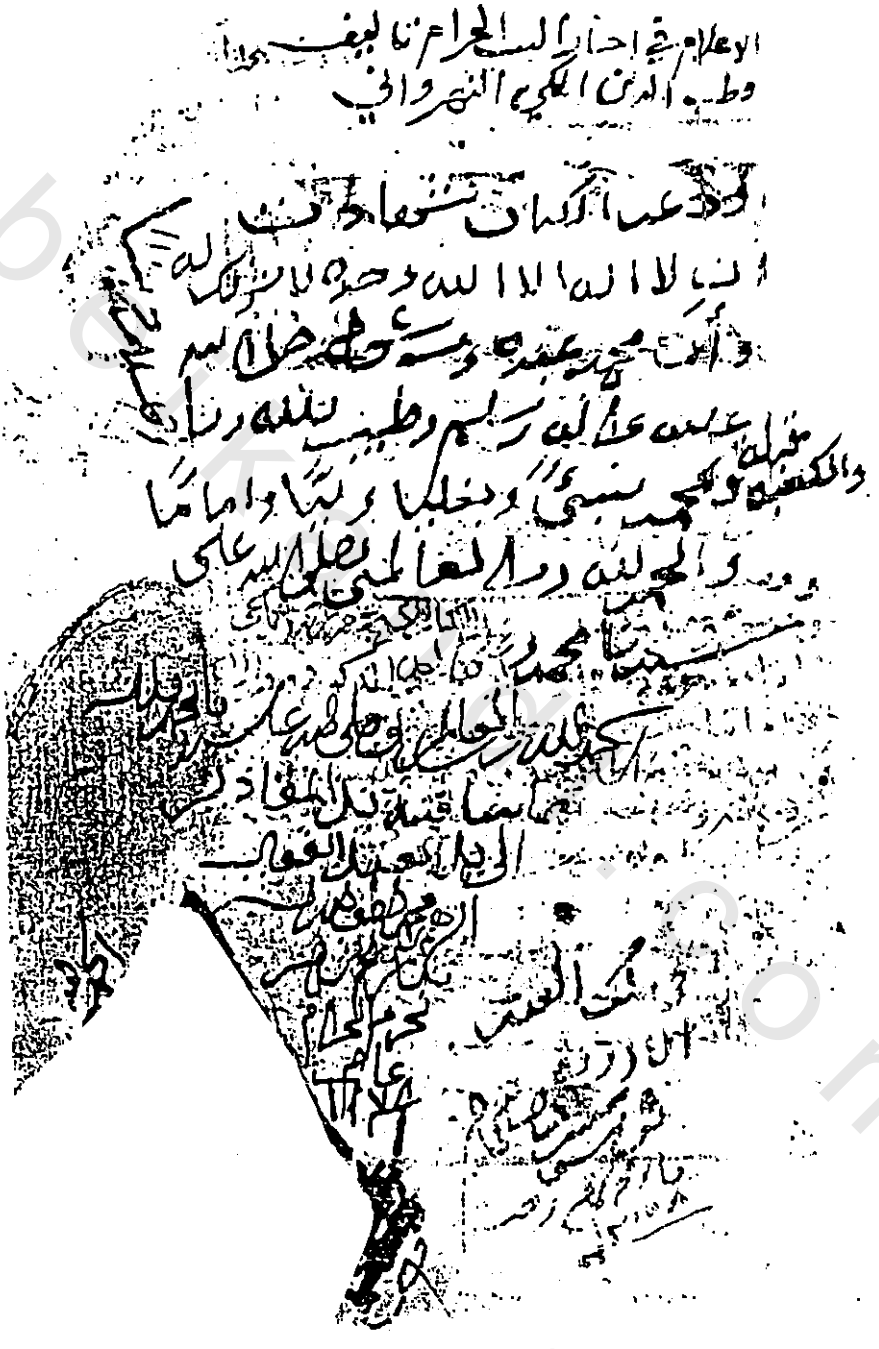

صفحة العنوان

obeikandl.com

الحمد لله الذي جعل المسجد الحرام حرمًا امنًا ومثابة للناس
وامر بتطهير الكعبة البيت الحرام للطائفين والعاكفين وازال عنها
الخوف والباس وقبض لعمارة محرمه الامين اعاظم الخلفاء والسلاطين
واجلسهم على سرير السعادة اكرم اجلاس محمد على حصول المراد
ونشكره على الكرامة والاسعاد هذا الحرم الشريف الذي سوا العاكف
فيه والباد ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك البر السلام
ونشهد ان سيدنا محمدًا عبده ورسوله المنزل عليه قد نرى تقلب وجهك
في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ايها القائل
من بنى لله مسجدًا كمفحص قطاة او اصغر بنى الله له بيتًا في الجنة اما والله لا
صلى الله عليه وعلى اله الكرام وصحبه العظام نجوم الدين ومصابيح الظلام
ما طاف بالبيت العتيق طايف واعتكف بالمسجد الحرام عاكف ووقف
بعرفات والمشعر الحرام واقف اما بعد فلما وفقني الله لخدمة العلم
الشريف وجعلني من حيران بيته المعظم المنيف تشوقت نفسي الى
الاطلاع الى علو الاثار وتشوقت الى في التاريخ وعلم الاخبار لاشتماله
على حوادث الزمان وما ابقاه الدهر من اخبار وقايع الدوران واحوال

obeikandl.com

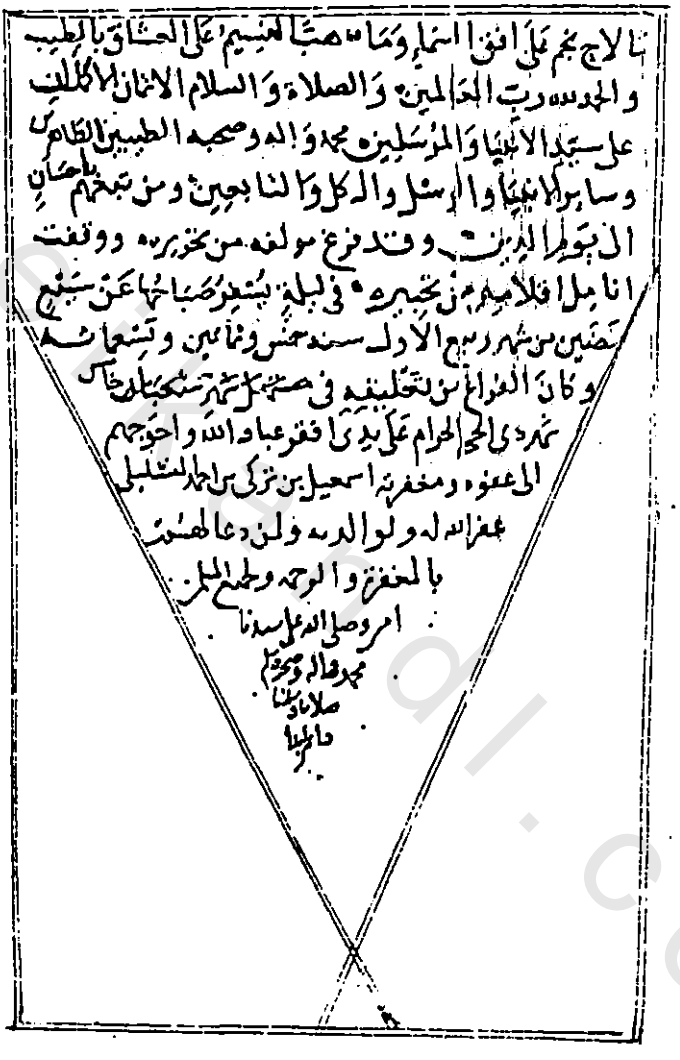

الصفحة الأخيرة

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لله الذى جعل المسجد الحرام حَرَمًا آمنًا ومثابةً للنَّاس، وأمر بتطهير الكعبة البيت الحرام للطائفين والعاكفين وأزال عنها الخوف والبَأس، وقَيَّضَ لعمارة حرمه الأمين، أعظم الخلفاء والسلاطين، وأجلسهم على سرير السعادة أكرم إجلاس.

نَحْمَدُهُ على حُصُول المراد، ونشكره على الكرامة والإسعاد، بهذا الحرم الشريف الذى سواء العاكف فيه والباد.

ونشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له الملك البرّ السلام.

ونشهد أن سيّدنا ونبيّنا محمّدًا عبده ورسوله المنزّل عليه ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤]. القائل: «من بنى مسجدًا لله كمَفْحَص قطاة أو أصغر بنى اللهُ له بيتًا فى الجنة» أى دار السلام، صلى الله عليه وعلى آله الكرام، وصَحْبه العِظام، نجوم الدين ومصابيح الظلام، ما طاف بالبيت العتيق طائف، واعتكف بالمسجد الحرام عاكف، ووقف بعَرَفَات والمشعر الحرام واقف.

أما بعد: فلمّا وَفَّقَنى الله تعالى لخدمة العلم الشريف، وجعلنى من جيران بيته المعظم المنيف، تَشَوَّقَتْ نفسى إلى الاطّلاع على عِلْم الآثار، وتشوَّفَتْ إلى فنّ التاريخ وعلم الأخبار، لاشتماله على حوادث الزمان، وما أبقاه الدهرُ من أخبار وقائع الدَّوَران، وأحوال السلف وما أبقوا من الآثار والأحداث، بعدما صاروا إلى الأجداث، فإن فى ذلك عبرةً لمن اعتبر، وإيقاظًا بحال من مضى وغبر، وإعلامًا بأن ساكن الدنيا على جناح سفر، ومفاكهة للفضلاء وإفادة لمن يأتى بعد من البشر.

فإن مَنْ أرَخ فقد حَاسَبَ على عُمره، ومَنْ كَتَبَ وقائع أيامه فقد كتب كتابًا إلى من بعده بحوادث دهره، ومن قيد ما شاهَدَ فقد أشهَدَ أحوال أهل

عصره، من لم يكن فى عصره.

ومن كتب التاريخ فقد أهدى إلى من بعده أعمارًا، وبَوَّأَ مَسَامِعَهم وأبصارهم ديارًا، ما كانت لهم ديارًا، وأعلم أهل الآفاق بأخبار بلاد ما كانت لهم مستقرًا ولا دارًا.

فَاتَنى أن أَرَى الديار بعَيْنى فلَعَلّى أرى الديار بسَمْعى

ولقد أفادنا الأمم الماضون بأخبارهم، وأطْلعونا على ما دثر وبقى من آثارهم، فأبصرنا ما لم نشاهده بأبصارهم، وأحطنا بما لم نُحطْ به خُبْرًا بأخبارهم، فرحمهم الله تعالى أجمعين، وبَوَّأهم جنّات عدن فيها خالدين.

لقـد غَرَسوا حتّى أَكَلْنا، وإنَّنا لنَغْرسُ حتى يأكل الناسُ بعدنا

فأَرَدْنا إفادة من بعدنا ببعض ما رَأَيْنا وشهدنا، وإعلامهم ببعض ما شاهدنا وعهدنا، استدعاء للدُّعاء منهم والاسترحام، وطلبًا للمثوبة من الله البرّ السلام، ولقد قلت فى هذا المقام:

لم يبق منّا غير آثارنا وتَنْمَحى من بعد أخلاق

وكلنـا مَرْجعنـا للفنـا وإنما الله هـو البـاقى

تنبيه: لا يخفى على ضمائر أولى الأبصار والبصائر، وخواطر أهل الفَضْل الباهر، أن المسجد الحرام، الذى هو حَرَمٌ آمنٌ للأنام، زاده الله تعالى شرفًا وتعظيمًا، ومنحه عَزًا وعظمةً ومهابةً وتكريمًا، أعظم مساجد الدُّنْيَا، وأشرف مكان خصَّه الله تعالى بالشرف والعليا، يَجبُ تعظيمُه وتكريمه على كافّة الأنام، سيما سلاطين الإسلام، الذين هم ظلُّ الله فى العالم، وخلائف الله فى الأرض على كافة بنى آدم.

وقد بنى هذا المسجد ووسعه عدّة من الخلفاء أمراء المؤمنين، ونمّقه ورسَمه جُملة من أكابر السلاطين، كما سنَشْرحه إن شاء الله تعالى.

وقد كان آخر ما شاهدناه من آخر أيام الصبا إلى الكهولة، ما عمّره المهدى العباسى وزيادة دار الندوة للمعتضد العبّاسى، وزيادة باب إبراهيم للمقتدر العبّاسى.

ثم مالت الأَرْوقة الثلاثة من الجانب الشرقى من المسجد الحرام من سنة خمسين وتسعمائة، وفارق السطح المتّصل برباط المرحوم السلطان قايتباى والمدرسة الأَفْضَلية لصاحب اليمن؛ التى صارت الآن من وقف الخواجا ابن عباد الله، وصاروا يرمّون ذلك من جانب السلطنة الشريفة فى أيام السلطان الأعظم السلطان سليمان خان، عليه الرحمة والرضوان، إلى أن مال هذا الجانب الشرقى ميلاً ظاهرًا محسوسًا بحيث كان يُخْشَى سقوطُه، ثم عُلِّق وأُسْنِدَ بالأخشاب فى أيام السلطان الأعظم، والخاقان الأجل الأكرم، ملك ملوكِ العَصْر والزمان، الحليم السليم الكثير الإحسان، السلطان سليم خان، ابن سليمان خان، أنزل الله عليه شآبيب الرحمة والغفران، فعرض ذلك عليه، فبرز أمره الشريف ببناء جميع المسجد من جوانبه الأربعة على أحسن وجه وأجمل صورة، وأمر أن يجعل مكان السطح قُبَبًا محكمة راسخة الأساس لأن خشب السقف يَبْلَى بتقادم الزمان وتأكله الأرضة والقُبَب أمكن وأزين وذلك فى سنة تسع وسبعين وتسعمائة.

فلمّا وصل الحكم الشريف شرع فيه لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ثمانين وتسعمائة على وجه جميل بغاية الإحكام والإتقان، وأُسِّسَ على تقوى من الله ورضوان، إلى أن نُقِلَ من سرير سلطنة الدنيا، إلى مُلْك لا يَبْلَى، وعزٍّ لا يَفْنَى، وسلطان لا يزول، ونعيم لا يَنْفَد ولا يحول فى ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٠ ـ ١٦]، ثم كَمُل إتمام عمارة المسجد الحرام، فى أيام دولة السلطان الأعظم الهُمام، أجلّ عظماء ملوك الإسلام، سلطان سلاطين الأرض، مالك بساط البسيطة بالطول والعرض، القائم بوظائف النفل والسُّنَّة والفرض، خدا وند كار العالم وسلطانه، وأمير المؤمنين الذى جلس على كرسى الخلافة فما قدر كسرى وإيوانه، الذى غُذِّىَ بلبَان حُبّ العَدل والإحسان، ونَشَأَ على طاعة الله وعبادته منذ كان وإلى الآن، وأحبَّ العلماء والصلحاء وأمدّهم بالخيرات

الحسان، إلى أن عَجَزَ عن القيام بحقّ شكره لِسَانَ كلّ مَلْسان، مجدّد مَعَالم المسجد الحرام هو وأبوه وجَدُّه، ومشيّد مدارس العلوم الدينيّة وقد شملها سَعْدُهُ وجِدُّه، ناشر أَلْوِيَة الأمن والأمان فى جميع الممالك والبلاد، ظل الله الممدود على كافة العباد، السلطان الأعظم والليث الغَشَمْشم والبحر الغَطَمْطم مَوْلانا السلطان مُرَاد، جعل الله السلطنة والخلافة كلمة باقية فيه وفى عقبه إلى يوم التناد، وأزال بنور عدله ظُلَمَ الظُّلْم والفساد، وشتّت بسَيْف قهره شمل أهل الكفر و الإلحاد، وهدم بمَعَاول بَأسه وسَطْوَته الكَنائس والبيع، وعمّر بصيت مَعْدلته وصَيِّب عدله ورأفته المساجد والجُمع، كما قال الله القويّ القادر، فى محكم كتابه العظيم الباهر، ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [التوبة:١٨].

وفى ذلك أقول[1]:

إنّ سلطاننا مُرَادًا لَظِلُّ الـــــــله فى الأرض باهر السلطان
مَلَكٌ صار مَنْ مَضَى من ملوك الـ أَرْضِ لَفْظًا وجاء عين المعانى
مَلَكٌ وَهْو فى الحقيقة عندى مَلَكٌ صِيغَ صِيغَةَ الإنسان
ملك عادل فكلُّ ضعيف وقَوِيٌّ فى حُكمه سيان
سيفه والمنون طِرْفَا رِهَانٍ لِخُلُوق العدوّ يبتدران
كمّل المسجد الحرام بناءً فلق فى العالمين كل المبانى
هكذا هكذا وإلاَّ فلا لا إنّما الملك فى بنى عثمان

ولمّا كان هذا البُنْيان، العظيم الأركان، أثرًا باقيًا على صفحات الزمان، دالاً على عظم شَأْن مَنْ أمر به من أعيان الإنسان، كما أشار إليه القائل فى سالف الزمان.

إنّ البناء إذا تعاظم أمره أضحى يدل على عظيم البانى

جمعتُ فى هذه الأوراق، من أخبار ذلك ما رقّ وَرَاق، تسير به الركبان إلى سائر الآفاق، وتنير فى صفحات الدهر كالشمس فى الإشراق، وتُحْفَظ

(١) أورده السنجارى فى منائح الكرم ٣/ ٤٧١ نقلاً عن المصنف.

فى خزائن الملوك والسلاطين كأنفس الأعلاق، فكان كتابًا حسنًا فى بابه، ممتعًا لمن تعلّق بأسبابه، أنيسًا تجمل مؤانسته، وجليسًا لا تملُّ مجالسته، جمع ما بين لطائف تاريخية، وأحكام شرعية، ومواعظ نافعة، وفوائد بارعة، وسَمَّيته:

«كتاب الإعْلام بأَعْلامِ بَيْتِ الله الحَرَامِ».

وخدمت به خزائن كُتُب هذا السلطان الأعظم، الشاب الأعدل الأكرم، المطيع لأمْر الله وأمر خير الأنبياء ﷺ، أحد السبعة الذين يظلهم الله يوم القيامة تحت ظلِّه، يوم لا ظِلَّ إلا ظلُّه، ويشملهم بفيض فضله، العظيم فلا فضل إلا فضله، خلّد الله على الإسلام والمسلمين، ظلال سلطانه القوى المتين، لتأييد هذا الدين المبين، وأنام الأنام فى ظل أمانه وعدله المكين، وأبقاه على سرير السلطنة العادلة دهرًا طويلاً، وثبّته على نَهْج الكتاب والسُّنَّة ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ [الاحزاب:٦٢]، والله نسأل أن يكسو هذا المؤلَّف من حُسن القبول جلبابًا لا يَخْلقه كَرُّ الليالى والأيام، ويجعلنا من المقبولين فى بابه العالى الفائزين بالنظر إلى وجهه الكريم فى دار السلام، آمين.

وقد رأَيْنا أن نقسم هذا الكتاب المستطاب، إلى مقدمة وعشرة أبواب، وخاتمة، والأبواب إلى فصول بحسب الاحتياج إليها، وإلى الله المرجع والمآب.

الباب الأول: فى ذكر وضع مكة المشرفة شرفها الله تعالى وحُكم بيع دورها وإجارتها وحُكم المجاورة بها.

الباب الثانى: فى بناء الكعبة المعظمة زادها الله تعالى شرفًا وتعظيمًا ومهابة وتكريمًا.

الباب الثالث: فى بيان ما كان عليه وضع المسجد الحرام فى الجاهلية وصدر الإسلام.

الباب الرابع: فى ذكر ما زاد العبّاسيون فى المسجد الحرام.

الباب الخامس: فى ذكر الزيادَتَيْن اللتين زيدَتَا فى المسجد الحرام بعد

تربيعه الذى أمر به المهدى العَبَّاسِىُّ.

الباب السادس: فى ذكر ما عمّرته ملوك الجراكسة فى المسجد الحرام.

الباب السابع: فى ظهور ملوك آلْ عثمان، خلد الله تعالى سلطنتهم إلى انقضاء الدَّوَران، وفيه نُبْذة من أخبار شاه إسماعيل القرلباش وما وقع منه.

الباب الثامن: فى دولة السلطان، المحفوف بالرحمة والرضوان، السلطان سُلَيْمان خان.

الباب التاسع: فى دولة السلطان الأعظم الخاقانى، السلطان سليم خان الثانى.

الباب العاشر: فى سلطنة السلطان، قريد العصر والزمان، مولانا السلطان مراد خان.

الخاتمة: فى ذكر المواضع المباركة والأماكن المأثورة المستجاب فيها الدعاء بمكة المشرفة.

* * *

obeikandl.com

المقدمة

فى ذكر سندنا فيما ننقله فى كتابنا هذا من أخبار البلد الحرام إلى من ننقل عنه الوثوق والاعتماد

اعلم أن من بركة العلم نسبته إلى قائله، وما لم يكن هناك سند بين الناقل الراوى ومن يُنْقَل عنه فلا اعتماد على ذلك النقل ولا بُدَّ أن يكون رجال السند موثوقًا بهم، وإلاّ فلا اعتبار لتلك الرواية.

وأَقْدَمُ مؤرخى مكة هو الإمام أبو الوليد محمّد بن عبد الله الأزْرَقى ثم الإمام أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العبّاس الفاكهىُّ المكّىّ، ثم قاضى القضاة السيّد تقى الدين محمّد بن أحمد بن على الحَسَنى الفاسى، ثم المكّىّ ثم الحافظ نجم الدين عمر بن محمّد بن فَهْد الشافعى العَلَوى المكِّىّ، ثم ولده الشيخ عزّ الدين عبد العزيز بن عمر بن فَهْد وهذا الأخير ممّن أدركناه ولنا عنه رواية، وأمّا الأوّلون فنذكر سندنا إليهم ليعتمد على نقلنا عنهم.

فأما أبو الوليد الأَزْرَقى: فرَوَيْنا مؤلفاته عن جماعة أَجِلاء أخيار وعلماء كبار منهم: والدى المرحوم مولانا علاء الدين أحمد بن محمد بن قاضى خان بن بهاء الدين بن يعقوب الحَنَفىّ القادرى الخرقانى النَّهْرَوَالىُّ ثم المكّىّ رحمه الله، وليس جَدُّنا قاضى خان هذا صاحب الفَتَاوى المشهورة من علماء مذهبنا، بل هذا غير ذلك من علماء نَهْرَوَالَةَ قال: أخبرنى بها العزُّ عبد العزيز ابن فَهْد عن والده الحافظ نجم الدين عمر بن فَهْد، عن شيخه قاضى القضاة السيّد تقى الدين محمد بن أحمد بن على الفاسى المؤرخ. قال: أخبرنا بها أبو المعالى عبد الله بن عمر الصوفى عن أبى زكرياء يحيى بن يوسف القُرَشى إجازةً أن أبا الحسن علىّ بن هِبَة الله الخطيب وعبد الله بن ظافر الأزدى أَنْبآه عن أبى طاهر أحمد بن محمد الحافظ، قال: أنبأنا بها المبارك بن

عبد الجبّار المعروف بابن الطَّيُورى، قال: أنبأنا بها أبو طالب محمّد بن علىّ ابن الفتح العُشارى، قال: أنبأنا بها أبو بكر بن أحمد بن محمّد بن أبى موسى الهاشمى، قال: أنبأنا بها أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمى، قال: أنبأنا أبو الوليد محمّد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقى رحمه الله تعالى.

وأما أبو عبد الله محمّد بن إسحاق الفاكهى فإنّى أروى مؤلّفه عن الحافظ المسند المعمّر خطيب بلد الله الحرام أحمد محبّ الدين بن أبى القاسم محمّد العُقَيْلى النُّوَيْرى المكّى تغمّدَه الله تعالى برحمته، قال: أنبأنا به المسند المعمّر أبو العبّاس أحمد بن محمّد الدمشقى الشهير بالحَفَّار إجازة، قال: أنبأتْنى به المسندة المعمّرة زَيْنَب بنت أحمد بن عبد الرحيم إجازة، قالت: أنبأنى به الحافظ المسند بهاء الدين أبو الحسن على بن هِبَة الله سبط الجُمَّيْزى إجازة، قال: أنبأنا الحافظ المسند أبو طاهر أحمد بن محمّد السِّلَفِىُّ إجازة، قال: أنبأنا به الحافظ محمد بن أحمد التُّجيبى كتابة، قال: أنبأنا به الحافظ أبو على الحسين بن محمّد الجَيَّانى الغَسَّانى أحد أركان الحديث بقرطبة، قال: أنبأنا به الحافظ الحكم بن محمد الجُذَامى، عن أبى القاسم بن أبى غالب الهمدانى، عن أبى الحسن الأنصارى عن مؤلفه رحمه الله تعالى.

* * *